يرى الفلاسفة الكلاسيكيون (العقليون والحسيون) أنه من الضروري الفصل والتمييز بين الإحساس والإدراك في التعرف على العالم الخارجي إذ يرى العقليون وفي مقدمتهم رونيه ديكارت ورو ألان وجورج باركلي و إيمانويل كانط بأن المعرفة الإدراكية هي حكم ذهني ناتجة عن نشاط العقل فيما يرى الحسيون وفي مقدمتهم جون لوك ودافيد هيوم وجون ستوارت ميل بأن المعرفة الإدراكية مصدرها الإحساس والتجربة الخارجية ويستند الفلاسفة العقليون في فصلهم بين الإحساس والإدراك على التمييز بينهما من حيث طبيعة وقيمة المعرفة المتأتية من كليهما فمن حيث الطبيعة إن الإحساس عملية فيزيولوجية أولية بسيطة مرتبطة بالبدن وهو عالم ثابت مشترك بين الإنسان والحيوان ، أما الإدراك فهو مرتبط بالعقل أي أنه عملية عقلية عليا معقدة تساهم فيه عمليات ووظائف عقلية عليا من ذاكرة وذكاء وتخيل وتأويل للحكم . وهو متطور تبعا لتطور هذه القدرات الذهنية . أما من حيث القيمة للإحساس أدنى قيمة معرفية من الإدراك بمعنى أنه معرفة أولية لم يبلغ بعد درجة المعرفة فهو يحدث صورا ذهنية لا تتضمن أي معنى بينما الإدراك يؤسس على المعرفة الحقة القائمة على الوضوح واليقين والتي تتم في إطار الزمان والمكان يقول ديكارت في هذا : " أنا أدرك بمحض ما في ذهني من قوة الحكم ما كنت أحسب أني أراه بعيني " فالإحساس في نظرهم لا يمد الإنسان بمعرفة كاملة، فهو لا ينطوي على أي يقين ، ولعل هذا ما عناه الفيلسوف اليوناني سقراط بقوله: "إن الحواس تخدعنا خداعا كبيرا"، وهو الطرح ذاته الذي تبناه ودافع عنه تلميذه أفلاطون الذي رأى في المعرفة الحسية أنها معرفة لا تثبت على حال وهي متغيرة، لا ترتقي إلى مصاف المعرفة العقلية ذات الحقائق الثابتة والأزلية، وهذا الذي جعل أفلاطون يميز بين عالمين أساسيين وهما عالم المثل والمعقولات الثابتة وعالم المحسوسات والمتغيرات، وفي العصر الحديث يرى رائد الفلسفة الحديثة ديكارت أن الحواس تكون في كثير من الأحيان مطية لخداعنا، وقد بين كذلك أن الإحساس لا يمدنا بمعرفة كاملة ويقينية، وأن العقل هو أعدل قسمة بين الناس بما ركب فيه من أفكار فطرية هو أساس كل معرفة ، وفي هذا الصدد يقول ديكارت: " لقد رأيت الحواس تخدعني ، وليس من الحكمة أن نطمئن كل الاطمئنان إلى من يخدعنا ولو لمرة واحدة ولقد أشار ديكارت إلى هذا بتقديمه لمثال عن أبراج القلعة التي كانت تلوح له مستديرة عن بعد أصبحت تلوح له مربعة عن قرب ويقول في هذا الصدد : " ولكن إختبارات كثيرة فوضت شيئا فشيئا كل ما لدي من ثقة بالحواس فقد لاحظت مرات عديدة أن الأبراج التي كانت تلوح لي مستديرة عن بعد تلوح لي مربعة عن قرب " وفي هذا الإتجاه يرى ألان بأن المشاهدة الحسية لا تقدم معرفة كاملة وهذا ما بينه من خلال مثال المكعب الذي لا نرى منه إلا ثلاثة أوجه وتسعة أضلاع فقط بالعين المجردة بينما حقيقته هي ستة أوجه وإثني عشر ضلعا لأننا نعلم عن طريق الخبرة السابقة أننا لو أدرنا المكعب فسنرى الأوجه والأضلاع التي لا نراها لذلك فإدراك المكعب لا يخضع لمعطيات الحواس بل لنشاط الذهن وأحكامه ولولا هذا الحكم العقلي لا يمكننا الوصول إلى معرفة المكعب من مجرد الإحساس يقول ألان في هذا الصدد: " إن الشيئ يعقل (يدرك) ولا يحس " ويؤكد باركلي أن الأكمة (أي الأعمى بالولادة) الذي إستعاد بصره بعد عملية جراحية لا يستطيع أن يميز بين الموضوعات البعيدة والقريبة ويقول في هذا الصدد : " عندما يعاد البصر إلى الأعمى بالولادة فلن تكون لديه أية فكرة عن المسافات في البداية فالشمس والنجوم والأشياء البعيدة أو القريبة تبدو و كأنها ملتصقة بعينيه (لكنها موجودة في فكره) لأن المحاكمة العقلية هي التي تبين لنا مواقع الأشياء المدركة بالبصر وهي ناتجة عن الخبرة والتجربة " و بعد 20 سنة أكدت أعمال الجراح الإنجليزي شزلندن هذا الرأي وحالة الأكمة تماثل حالة الصبي في مرحلة اللاتمايز فلا يميز بين يديه والعالم الخارجي ويمد يديه لتناول الأشياء البعيدة لأنه يخطئ أيضا في تقدير المسافات لإنعدام الخبرة السابقة لديه يقول ألان في هذا الصدد : " إن الصياد يدرك جيدا إذا عرف كيف يتعرف على كلابه التي يسمعها إنه يجيد الإدراك إذا عرف كيف يبلغ الحمامة التي تطير بينما الطفل لا يحسن الإدراك عندما يريد بلوغ القمر بيديه أو بلوغ غبر ذلك " أما كانط فيؤكد أن العين المجردة لا تنقل نتيجة الإحساس إلا بعدين من الأبعاد وهما الطول والعرض عند رؤية صورة أو منظر مثلا ورغم ذلك ندرك بعدا ثالثا وهو العمق إدراكا عقليا فالعمق كبعد ليس معطى حسي بل حكم عقلي وهنا يقول ألان " الرسامون يعرفون كيف يهيئون شروط إدراك المناظر" هذا وتؤكد الملاحظة البسيطة والتجربة الخاصة أننا نحكم على الأشياء على حقيقتها وليس حسب ما تنقله لنا الحواس فندرك مثلا العصا في بركة ماء مستقيمة رغم أن الإحساس البصري ينقلها لنا منكسرة ويبدي لنا الإحساس الشمس وكأنها قرص صغير ونحكم عليها بالرغم من ذلك أنها أكبر من الأرض ولهذا يقول ديكارت في هذا الصدد : " كل ما تلقيته حتى الآن على أنه أصدق الأشياء و أوثقها قد تعلمته عن طريق الحواس غير أنني إختبرت أحيانا هذه الحواس فوجدتها خادعة و أنه من الحذر أن لا نطمئن أبدا إلى من خدعونا ولو مرة " بينما يميز الفلاسفة الحسيون بين الإحساس والإدراك بالنظر إلى درجة وشدة التعقيد فيهما فالعقل عندهم ملكة تابعة للإحساس عاجزة عن إنشاء أفكار ذاتية خاصة بل إنه (العقل) ليس أكثر من مستودع للخبرات والصور الحسية ومنه فكل

Summarized by © lakhasly.com

المدركات العقلية ما هي في الحقيقة سوى خبرات حسية تحصلنا عليها شيئا فشيئا نتيجة إنطباع صور المحسوسات ، إذ يؤكدون أن الإحساس هو مصدر جميع معارفنا فالمعرفة الإدراكية في تصورهم هي نتيجة تآلف جميع الإحساسات ومعنى ذلك أن المعرفة المتحصلة تنتج عن تآلف بين الإحساس والإحساس المركب (والذي يكون شعورا أو إنطباعا أو إدراكا حسيا) فالمعرفة الإنسانية متولدة من التجربة والخبرة فالعقل البشري صفحة بيضاء و التجربة هي التي تخط عليه ما تشاء يقول لوك في هذا : " لنفرض أن العقل صفحة بيضاء خالية من جميع الصفات فكيف يمكن أن يكتسب للإنسان ذلك ؟ إني أجيب بإختصار من التجربة " وعليه فلا شيئ في الذهن إلا سبق وجوده في الحس يقول لوك : " إن ما في الأذهان إنعكاس لما في الأعيان " فكل معرفة أصلها حسي وبالتالي لا وجود لمبادئ فطرية و أفكار قبلية في العقل لأن كل المعارف بعدية تكتسب بالتجربة الحسية يقول لوك : " لو كان الناس يولدون وفي عقولهم أفكار فطرية لتساووا في المعرفة " كما يعتبر الإحساس أساس كل معرفة وهذا ما يعكسه قوله الشهير : " لو سألت الإنسان متى بدأ يعرف لأجابك متى بدأ يحس " إذ أن كل المكتسبات المعرفية مصدرها التجربة والخبرة لهذا فمن فقد حسا فقد معرفة كما قالها أرسطو قديما وهيوم حديثا فالحواس هي وسيلة إتصال الفرد بالعالم الخارجي أما العقل وما ينطوي عليه فهو إنعكاس للمعطيات التجريدية يقول لوك في هذا : " الحواس والمدركات هما النافذتان اللتان ينفذ منهما الضوء إلى الغرفة المظلمة (العقل) " ومعنى ذلك أن الخبرة الحسية هي مصدر كل معارفنا إلى العالم الخارجي وبالتالي فكل المعارف عند الحسيين بعدية مكتسبة بالتجربة الحسية وعلى هذا الأساس يكون الإحساس هو مصدر المعرفة والمتحكم في المدركات والموجه لها ومن ثم التمييز بين الإحساس والإدراك وجعل الإحساس أعلى مرتبة من الإدراك .

Summarized by © lakhasly.com